ASJP Algerian Scientific Journal Platform

مجلة التواصلية

ISSN 2437-0894- EISSN 6202-X537

HTTPS://WWW.ASJP.CERIST.DZ/EN/PRESENTATIONREVUE/294

المجلد: 7 0 / العدد: 20 (2021) ص: 23 /40

قراءة ما بعد الكولونيالية في رواية «غداً يوم جديد» لعبد الحميد بن هدوقة بناء على آراء فرانتز فانون،

Analysis of the novel " GhadanYoumon-Jadid" (Tomorrow is a new day)by Abdelhamid bin Hadouqa based on the postcolonial theory of Franz Fanon.

د.بهنام¬فارسی *	د.فاطمة قادری	د.علی بیانلو	د. مجتبی قنبری
جامعة یزد (ایران)	جامعة یزد (ایران)	جامعة یزد (ایران)	جامعة یزد (ایران)
behnam.farsi@yazd.ac.ir	ghaderi_m@yazd.ac.ir	abayanlou@gmail.com	ghanbarimazidimojtaba@gmail.com

معلومات المقال

تاريخ الارسال: 2020/12/05

تاريخ القبول: 2021/05/15

الكلمات المفتاحية:

- ✓ نقد ما بعد الاستعمارية:
- ✓ الأدب الروائي الجزائري:
- ✓ غداً يوم جديد:
- ✓ عبد الحميد بن¬ هدوقة:

الملخص:

أبحاث ما بعد الاستعمارية (**الكولونيالية**) هي فرع هام من فروع النقد الأدبي، والتي تتعلق بالسياقات السياسية والثقافية والاجتماعية للأعمال الأدبية. يتناول هذا الاتجاه النقدي تلك الأعمال الأدبية التي تسرد إما من الأمم الاستعمارية، أو من المجتمعات التي تكون خاضعةً لسيطرتها، ويعالج قضاياهما المختلفة. الغرض الرئيسي من هذا الاتجاه النقدي، هو تقديم رؤية نقدية تناسب معالجة العلاقات القائمة بين الشرق والغرب. ومن هنا كتبَ الأديب الجزائري عبد الحميد بن¬هدوقة رواية اسمها "غداً يوم جديد" وهي واحدة من الأعمال التي تمثل روح النضال عند الشعب الجزائري ضد الاستعمار الفرنسي، وتحكي عن الظروف السياسية، والاجتماعية وكيفية العلاقة بين الجزائر وفرنسا فترة الاحتلال. ويهدف هذا المقال، اعتماداً على المنهج الوصفي-التحليلي إلى التبيين لمكونات نقد ما بعد الاستعماري- منها شروط التعبير عن النضال المسلح ضد الاستعمار، والازدواج الوجداني، والعنصرية، ومحاولة لطرد مركزية الغرب- في رواية "غداً يوم جديد" على أساس آراء فرانتز فانون، قدر الإمكان. ومن نتائج البحث أنهّا قد يؤدّي التصرف العنصريّ إلى تقويض الاستعمار. وقد كثرت الدعوة إلى النضال العنيف ضد الاستعمار، للتخلّص من شرّه وتصرفه العنصري. ولم يتم تهميش الشخصيات الجزائرية في مقابل الاستعمار إلا أنها تهاجم بجرأةٍ المركزيةَ الأوروبية وقمع المستعمرين، وتهمّش الغرب حفاظاً على القيم الثقافية لمجتمعها.

Abstract :

Postcolonial studies are an important branch of literary criticism that deals with the political, cultural, and social texts of literary works. This critical approach includes literary works narrated either from colonial nations or from

Article info

Received *2020/12/05*

Accepted *2021/05/15*

* المؤلف المرسل

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

societies under their colonization. The main purpose of this approach is to provide a critical way of expressing and analyzing the relationship between The East and the West. The novel " GhadanYoumon-Jadid"" by Abdelhamid bin Hadouqa reflects the spirit of the Algerian struggle against the French colonialism. In this novel, the author recounts the political and social conditions and how Algeria and France interacted during the occupation. Relying on the descriptive-analytical method and using the ideas of Franz Fanon. This article examines components; such as, Public and armed struggles, racism, West-centered personality duality and Reject its centrality in the novel. The present study concludes that the call for a violent and comprehensive struggle against colonialism to get rid of its racist behavior is frequent. Behavioral duality certainly undermines colonialism. Algeria has not been marginalized against colonialism and has invaded and marginalized Central Europe in order to preserve the cultural values of its society.

Keywords:
- ✓ *Postcolonial Criticism:*
- ✓ *Algerian Fiction:*
- ✓ *" Ghadan Youmon-Jadid":*
- ✓ *Abdul Hamid bin Hadouqa:*

المقدّمة:

لقد شهدت معظم البلدان الإسلامية بفترات غير قصيرة السيطرة الاستعمارية الغربية، فكانت لها تأثيرات عميقة على جميع الأصعدة، لكن انهيار الاستعمار المباشر، لم يغيّر تغييراً جذرياً طبيعة العلاقات بين المستعمِر والمستعمَر، وتلا مرحلة الاستعمار ما يُعرف بالغزو الفكري والثقافي الذي يعبّر عن التبعيّة الفكرية والثقافية للغرب. فالاستعمار اليوم ينتج العديد من موارد الاتصال لكن بأشكال مغايرة ومعاصرة، ولاسيّما في البلدان التي خضعت للاستعمار العسكري في الحقب التاريخية الماضية. وأحالت دراسات كثيرة أزمة الإنسان المعاصر برمّتها إلى الأزمة الثقافية، من ثم حظي الموضوع باهتمام ملحوظ في الساحة الفكرية والنقدية المعاصرة. لكن الحديث عن العلاقات بين الشرق والغرب ومكونات الثقافة وأسباب اختزالها عند الشعوب المستعمَرة يختلف عما كان عليه أثناء الاستعمار المباشر.

ومن إفرازات العلاقة الثقافية بين الشرق والغرب، إضافة إلى المواجهة العسكرية والثقافية،هو تشكيل تيّار ما بعد الاستعمارية وكانت بداية ظهور نظريات ما بعدالاستعمارية في العقد السادس من القرن العشرين؛ عندما بدأ مفكرو المستعمرات السابقة إعداد خطاباتهم التي انشغلت بالتعبير عن تجارب المجموعات الخانعة لسيطرة الاستعمار بهدف مواجهة الخطابات الاستعمارية، وقاموا بإعطاء حق التعبير عن النفس للأتباع غير البيض وغير العرب الذين كانوا يرزخون لقيادة الحكم الاستعماري.

شهدت الجزائر، أكبر الأحداث التاريخية، التي تتمثل في الاحتلال الفرنسي الذي استغرق (130) عاماً، بسبب موقعها الاستراتيجي ومواردها الطبيعية الهائلة. ولم يسع لقوات الاحتلال تحقيق الأهداف السياسية والاقتصادية خلال سنوات السيطرة فقط؛ بل هي حاولت القضاء على التراث الثقافي لهذه البلاد، مع جعلها دولة غير إسلامية ومطيعة لها.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

بالنظر في حياة عبد الحميد بن هدوقة، نجد أنه رجل ترافقه هواجس القضايا الاجتماعية والسياسية، ولذلك بدأ يدافع عن القوميّة العربية ويبذل جهوداً في سبيل مواجهة الاستعمار. وتختلط حياته السياسيّة والأدبية بعضها مع بعض آخر بشكل كبير، ويبدو أنه يهدف من خلال كتابة الرواية، إلى بيان الوعي وإظهار التجارب، إضافة إلى عرض الإبداع الفني. لعبد الحميد بن هدوقة دور كبير في مجال الرواية وتحولاتها، إذا يوكد في أعماله الأدبية على الواقعية ويحاول استناداً إلى أفكاره النقدية أن يساهم في توعية الناس ضمن إظهار آرائه السياسية. موضوع المجتمع العربي وتطوراته، الحكومة وتعاملها مع الناس، وتشكيلات السلطة الكولونيالية، هي من المواضيع التي يقدّمها الكاتب في رواياته خاصة رواية "غدا يوم جديد"[1].

نظرية ما بعد الاستعمارية تطرح مجموعة من المكوّنات والقضايا الشائكة للدرس والمعالجة والتفكيك والتقويض، كثنائية الشرق والغرب وتجلّيات الخطاب الاستعماري والعنصرية والازدواج الوجداني و... نرى كثيراً من هذه القضايا فى رواية "غداً يوم جديد"، لأنها تعتبر واحدة من روايات عدّة تتناول قضية الصراع بين الشرق والغرب. ولذلك نستطيع أن نبيّن من خلال هذا البحث، سمات نظرية مابعد الاستعمارية في هذه الرواية من خلال طرح الأسئلة التالية:

1– ما هي أهمّ مكونات نقد ما بعد الاستعمارية في رواية "غداً يوم جديد"؟

2– ما هي إستراتيجية بن هدوقة في هذه الرواية لمواجة الاستعمار ونتائجه السياسية والثقافية؟

1–1– خلفية البحث

فقد تناولت دراسات كثيرة روايات ما بعد الكولونيالية، نذكر منها ما هو قريب من موضوعنا. هناك بحث عنوانه "الهوية وجدلية المركز والهامش في رواية نجمة لكاتب ياسين" للباحث "علي رحماني" وهو انتشر في ندوة مَخبر الهويّة في الأدب الجزائري، جامعة محمد خيضر بسكرة سنة (2014)، استعرض الباحث فيه خروج الروائي عن المألوف في روايته التي كتبت سنة 1956عن حياة الجزائريين المؤلمة، وخلص فيه إلى أنها أنموذج للصراع بين المركز المتجلي بالاحتلال الفرنسي والهامش المتجلي بحياة أبطالها لترسيخ الهوية. وفي مقال بعنوان "مواجهة الاستشراقية الاستعمارية في رواية "أرض السواد" للباحثة "فاطمة پرچگاني" (1396ش) والذي نُشر في مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها، السنة الثامنة، العدد الخامس والعشرون، تشير نتائج الدراسة إلى أنّ التيارات الاستعمارية إذا واجهها الشرقيون بالمعرفة وبالمواجهة التقابلية، لن تنجح في تحقيق أهدافها التوسعية في الشرق. وفي المجلة نفسها نشر بحث «تمثيل هوية التابع في الرواية العربية الجديدة: رواية شيكاجو أنموذجا» لمحمد علي آذرشب وفاطمة أعرجي (1396ش). عالج فيه الكاتبان كيفية صناعة الهويات

[1] قادری، فاطمه، سیری در تحول ادبیات معاصر، چاپ اول، انتشارات دانشگاه یزد، 2010م، ص 20.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

التابعة وتمثيلها في الروايات على ضوء نقد ما بعد الكولونالية وتوصّلا إلى أن الهوية صنعة ثقافية وأن السرد له إمكانية صناعة الهوية أو إعادة بنائها. بحث بعنوان "النهج ضد الاستعماري في قصائد حافظ إبراهيم وميرزاده عشقي" (2008) لمعصومة نعمتي قزويني، الذي نشر في مجلة الأدب المقارن، العدد الثاني والثلاثون، تناول مسألة الصداقة الوطنية، وهجاء الأجانب، وتنبيه الشعب، كما تم النظر في وجوه الاختلاف في أسلوب الكاتبين مع التعبير عن تشابه المواضيع. بحث يعنون بـ "انعكاس الاستعمار في قصائد ملك الشعراء بهار وأحمد صافي النجفي" من "رمضان رضائي" (1392ش) الذي نشر في المجلة أدب الفارسي المعاصر معهد الدراسات الإنسانية والثقافية، السنة الثالثة، العدد الثاني، عالج السمات المعادية للاستعمار في شعر الشاعرين على ضوء نقد ما بعد الكولونيالية. بحث آخر عنوانه "انعكاس مكافحة الاستعمار في الشعر المعاصر بين الحربين العالميتين" لمنصورة زركوب (1381ش) نشر في مجلة العلوم الاجتماعية والعلوم الإنسانية بجامعة شيراز، العدد الواحد والأربعون، تناول مسألة كيفية دور المثقفين في إيقاظ الشعب ضد الاستعمار وتأنيب المرتزقين وكشف مؤامرة المستعمِرين. وغيرها الكثير من الدراسات لكننا لم نجد دراسة تتناول تأزّم العلاقات بين المستعمِر والمستعمَر على ضوء آراء فرانتز فانون. كما أن روايات عبد الحميد بن هدوقة، لم تحظ باهتمام الباحثين على ما لها من أهمية في السرد ما بعد الكولونيالية، اللهم إلا في كتابات قليلة منثورة في مواقع الإنترنت تعرّف رواياته لا أكثر. وبهذا تتضح أهمية الموضوع وضرورته.

وللإجابة عن تلك الأسئلة لابد من التطرق إلى نقد ما بعد الكولونيالية وصِلَته بآراء فرانتز فانون قبل الخوض في الرواية. لأنه يكشف عمّا يتعرّض له المجتمع الجزائري في عالم ما بعد الاستعمار.

1-2- المضمون السردي لرواية "غدا يوم جديد" لعبد الحميد بن هدوقة

الرواية ترصد حياة البؤس في قرية فقيرة أصبحت فرنسا حاضرة فيها بشكل مستمر، وذلك «بفعل التكنولوجيا الحديثة، ففكرة غزو الغرب في عقر داره لم تعد هي الفكرة السائدة حالياً». بدأت الرواية بزواج قدور ومسعودة واستمرت بقرار سفرهما إلى العاصمة ولكن حالت دونهما الإدارة الفرنسية وتمّ اعتقال قدور. فمسعودة وقدور هما المركز وقد تحلقت حولهما جميع الشخصيات والأحداث بشكل هامشي فتتشكّل جدلية المركز /الهامش. وانتهت بمشهد خيال البطلة وحملِها سكيناً مع زوجها إلى المحطة وهذه المرة لم يتخلّف القطار ولم يكن أحدٌ في المحطة سواهما، فركبا وانطلق القطار بهما إلى الحلم أو إلى الغد الجدى .

"مسعودة" هي صاحبة المقام الأول في النص السردي، وإسمها يطلق على صاحبة الحظ ولكن لا توجد أية علاقة بين الدلالة اللغوية لهذا الاسم وحياته الحزينة في الرواية. هي إمرأة جميلة كثيرة الذنوب، ولكن ذنوبها كانت عن سطحية وكرم، أرغمت على زواج بقدور. أما قدور زوج مسعودة، فهو رجل قوي وشجاع، رحلَ صغيراً إلى الجزائر العاصمة، وكان

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

يعمل حمّالاً بالمرسي، دخل السجن بسبب تعاركه مع رجل كان في محطة القطار. العسكري الفرنسي الذي يمثل القوة الاستعمارية، كعادته كلّ يوم يأتي لمراقبة الغادي والرائح وقت مرور القطار، يتحكّم في هذه القرية وفي كل القرى المجاورة، إذا تحرّك ساكن تحركت خيول الدرك لتأتي به ولو اختفى في بطن أمه. لذلك يخاف الناس منه، لأنه أوروبي، وراءه فرنسا ومستعمراتها وجيشها الجرّار. إلى جانب "مسعودة" و"العسكري الفرنسي" شخصيّات هامشية تساعد في بناء الصورة الكليّة للقرية، تترنح جميعها على حافة فقدان مقومات هويتها والانصهار في بوتقة الآخر. منها شخصية "عزوز" الملقب بالقاسي، لم يكن كما صوّره أغلبية سكان الدشرة مفترساً، بل كان رجلاً طيباً حازماً، لا يحب الإهمال والتبذير وحديث المقاهي. و"القائد" كان عميلاً لفرنسا، يقتل من يشاء بدون عقاب، سبّب له ابنه "مقران" مشاكل مع معلم المدرسة، ولولا الخدمات التي قدمها لفرنسا لجُرِّد من برنس القيادة لأنه برنس فرنسا صعب لباسه وسهل نزعه. و"الحبيب" شاب وسيم قرأ بالزاوية، ثم بتونس، الوحيد الذي قطع شوطاً كبيراً في دروب التكنولوجيا، وصار متفوقاً في كل المواد.

2- الأسس النظرية للبحث

تعدّ نظرية ما بعد الاستعمارية أو نظرية ما بعد الكولونيالية من أهمّ النظريات الأدبية والنقدية ذات الطابع الثقافي، والسياسي لكونها تربط الخطاب بالمشاكل السياسية، والاجتماعية في العالم، كما تعتبر من أهم النظريات التي أحدثت تحولات فكرية في الساحة الأدبية والنقدية. إن نظرية ما بعد الاستعمارية قد تمّ تفسيرها تفسيراً ضيقاً أي إنها مرتهنة بفترة تاريخية معيّنة أعقبتْ زوال الاستعمار، أو الفترة التي أعقبت الاستقلال الذي حصلت عليه الدول التي كانت واقعة تحت وطأة الاستعمار الأجنبي، والذي منح أبناءها فرصة التحكم في مقدراتها.[1]

وقد أكد كل من "هيلين جيلبرت" و"جوان تومكينز" على ضرورة تجاوب نظرية ما بعد الكولونيالية ما هو أكثر من مجرد مرحلة تلت الاستقلال ما بعد الاستعمارية أو ما بعد الكولونيالية، ويقصد بها الدراسات التي تبحث في العلاقات الثقافية بين الغرب بوصفه مستعمِراً، وما يقع خارج الغرب من دول خاضعة لوطأة الاستعمار، مع ما تتضمنه تلك الدراسات من تحليل للنصوص الأدبية وغيرها للكشف عن استراتيجياتها الخطابية[2]. كما تعمل هذه النظرية على فضح الإيديولوجيات الغربية وتقويض مقولاتها المركزية، على غرار منهجيّة التقويض التي جاء بها الفيلسوف الفرنسي "جاك ديريدا" لتعرية الثقافة المركزية الغربية، وفك أسسها الميتافيزيقية الصارمة، وانصب اهتمام فكر ما بعد الاستعمار، على تهميش الثقافة الغربية لباقي الثقافات الأخرى، ويتداخل مصطلح النظرية ما بعد الاستعمارية مع الخطاب الاستعماري تداخلاً واضحاً، حيث يشير هذان المصطلحان إلى الخطاب الاستعماري والنظرية ما بعد الكولونيالية واللذان يكملان

[1] حديدي، صبحي، الخطاب ما بعد الكولونيالي في الأدب والنظرية النقدية، فلسطين، الكرمل، العدد رقم 47، 1993م، صص 61-65.

[2] المصدر نفسه: 31.

Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

بعضهما بعضا في حقلٍ من التحليل اتضحت معالمه النظرية والمنهجية في الغرب مع تكثيف الاهتمام به وازدياد الدراسات حوله، بحيث يشير المصطلح الأول (الخطاب الاستعماري) إلى تحليل ما نَشرته الثقافة الغربية في مختلف المجالات من نتائج تعبر عن توجهات الاستعمارية إزاء مناطق العالم الواقعة خارج نطاق الغرب على أساس أن ذلك الإنتاج يشكل في مجمله خطاباً متداخلاً للمعنى الذي استعمله "فوكو" لمصطلح «الخطاب». والمصطلح الثاني (النظرية ما بعد الكولونيالية) فيشير إلى نوع آخر من التحليل ينطلق من فرضية أن الاستعمار التقليدي قد انتهى وأن مرحلة من الهيمنة تسمى أحياناً المرحلة الامبريالية أو الكولونيالية[1]. بناء على ذلك فالنظرية ما بعد الكولونيالية تهدف إلى تحليل كل ما أنتجته الثقافة الغربية باعتباره خطاباً يحمل في طياته توجهات استعمارية إزاء الشعوب التي تقع خارج المنظومة الغربية .

فتح فرانتز فانون (1925) في كتاب "المعذبون في الأرض"، حقلاً من البحث الأكاديمي هو الخطاب الاستعماري، خطاب تلتحم فيه القوة السياسية المهيمنة بالمعرفة والإنتاج الثقافي. فنستطيع القول بأن كتاب المعذبون في الأرض هو محاولة للقيام بتدخل نظري في بروز إفريقيا ما بعد الكولونيالية. كما نجد أن يعلن فانون في نفس الكتاب بشكل حاسم أن العنف هو السبيل الأوحد لفك الاستعمار، ويكون قوة تطهيرية يحرر المواطن الأصلي من عقدة النقص لديه ومن يأسه وقعوده عن العمل، ويجعله أن يتخلص من الخوف ويستعيد احترامه لنفسه.[2] من خلال كل هذا أراد فانون أن يحطم المركز وانطلاق الهوامش وإحلال نظام جديد من العلاقات بين الجماعات البشرية التي عملت الامبريالية على تكريسها. فعمل على تحقيق فكرة التعدد والاختلاف والازدواج الوجداني وطالبَ بعدم إقصاء أيّ ثقافة أو نبذ أي هوية لتحقيق التعايش السلمي لابد من التعايش بين الهويات الجزائرية وكذلك الهويات الأوروبية التي انتقلت إلى الجزائر، وصارت الجزائر وطناً لها. يريد فانون بطريقة ما، عبر المعذبون في الأرض، أن يشجع الأوروبي والأصلاني في مجتمع غير عدائي من الوعي والمناهضة اللإمبريالية[3]. كما ارتكز فانون على فكرة تلاقي الهويات وترابطها ومن أهم الأفكار التي جاء بها في هذا الكتاب هو النظرة الدونية التي ينظر بها المستعمِر إلى المستعمَر فلا يملك هذا الأخير إلا أن يضمر حقداً كبيرا تجاه المستعمِر الذي يذكّره بحالته وبغناه وفقره وجهله، ويصل به هذا الشعور الحاقد إلى الحسد والرغبة في أن يحلّ محله. لقد قام الاستعمار أيضاً على الخطاب القائم على العرقية والعنصرية وتصوير الأراضي غير المكتشفة، حتى يسمح بإعادة رسم خرائط جغرافية وثقافية، كما فعل كتّاب ورحالة مستكشفين واعتمدوا كثيراً على الرحلة نحو عمق الظلام. مما هو

---

[1] الرويلي، ميجان والبازغي سعد، دليل الناقد الأدبي، ط3، بيروت، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء، 2002م، 158.

[2] سي غبسون،ناجيل،(2013م) قانون المخيلة بعد الكولونيالة، ترجمة: خالد عايد أبو هديب، بيروت، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ط1، مارس، آذار، 2013.

[3] سعيد، إدوارد، (2004م) الثقافة و الإمبريالية: ترجمة: كمال أبو ديب، بيروت، ط1، دار الآداب، 2004م، 329.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

مجلة التواصلية ISSN 2437-0894- EISSN 6202-X587

ملاحظ أن الخطاب الاستعماري تمثل في عدة أشكال من بينها العرقيّة والعنصريّة حيث اعتمد مكتشفوه على الرحلة من أجل إعادة رسم الخرائط الجغرافيّة والثقافيّة[1].

ما يعنينا في هذا أن نظام الاستعماري قد عرّف الشعوب الأصلية بأنها همجية وبدائية مع استخدام العنف، والعنصرية والاغتراب عن الهوية، تبريراً لاستعماره باسم تنويره وأن نظريات فرانز فانون ما بعد الكولونيالة سعت لكشف عن قضايا خطيرة تخص الهوية ورفض مركزية الغرب، والعنصرية والازدواج الوجداني. فيما يأتي سندرس وفقاً لما عرضناه من نظريات فانون في مجال نقد ما بعد الاستعماري.

2-1- الثورة والنضال العنيف ضد الاستعمار

الثورة كمصطلح سياسي هي الخروج عن الوضع الراهن، وتغييره باندفاع وبحركة عدم الرضاء أو التطلع الأفضل أو الغضب. وتعتبر ظاهرة اجتماعية تقوم بها فئة أو جماعة ما هدفها التغيير وفقا لإيدئولوجية، كما تعبّر عن انتقال السلطة من الطبقة الحاكمة إلى طبقة الثوار[2].

يرى فرانتس فانون أن الطريق الوحيد للتخلّص من شر الاستعمار هو اللجوء إلى الثورة العنيفة ويعتقد أنّ طرد الاستعمار كبديل لنوع من البشر بنوع آخر في كل المجالات. هذا الخلاف ليس به مرحلة انتقالية، لكنّه مطلقة وكاملة وشاملة تتمّ باستخدام العمل العنيف بين الناس للوصول إلى أهدافهم.[3]

تعمّقَ "غبسون" في الوقوف عند العنف من خلال حديثه عن المفاهيم النسبية في الصميم المطلق، ودافعَ عن خيارات فانون المنطلقة من التجربة الجزائرية التي اكتوى بنيرانها، لأن الصراع ينتج تغييرات اجتماعية ونفسية وثقافيّة، وكشَفَ أنّ فانون لم يتبنّ العنف وسيلة وحيدة، بل أحاطه بظروفه الحاضنة له، ومدى وجود حلول بديلة أخرى، وأن العنف قد يشّكل تضاداً ضرورياً للاستعمار الكولونيالي ونهاية له، مؤكداً أن المجتمع الكولونيالي هو المجتمع "المانوي" بُنيته الفوقية هي البنية التحتية. وحين أشار إلى "المانوية"، توقّف عندها بصفتها الشكل الذي تتخذه العلاقات الكولونيالية التي لا تسمح بأي منظور يتخطى المناطق التي حددتها، وهكذا يبدأ العنف الذاتي طريقاً للتخلص منها[4]. يعتقد بن هدوقة أيضاً أن القوة الاستعمارية دخلت البلاد بالقوة وأن الطريقة الوحيدة لإخراجها من البلاد هي استخدام القوة والعنف، كما

---

[1] شیرزادی، رضا، مطالعات پسااستعماری؛ نقد وارزیابی دیدگاه های فرانتس فانون، ادوارد سعید، هومی بابا، فصل‌نامه مطالعات سیاسی؛ سال دوم، شماره 5، 1388ه، ص10.

[2] جاسم، حسین، أحمد، فانون: المخيّلة بعد–الكولونيالية، الجملة عمران، العدد 15، 2016م ص 175.

[3] فانون، فرانتس، واپسین دم استعمار، ترجمه: خسرو گلسرخی، تهران، چاپ دوم، انتشارات توس، 1361ه، ص 137.

[4] جاسم، حسین، أحمد، فانون: المخيّلة بعد الكولونيالية، ص177.

Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

استخدم الاستعمار هذه الطريقة. «قَد تكونُ هناكَ تحضيراتٌ سريّةٌ تَجري في الخفاءِ، لإخراجِ فِرنسا نهائياً مِن الجزائرِ، وهو لا يَدري آه، لِماذا لَم يتّصلْ بِه أيُّ مُناضلٍ، لِيشاركَ هو أيضاً ، هل كلُّ ما قالَه العريفُ يَجْهلُه سكانُ الجزائرِ؟ كَم مرةٍ سَمِعْتُ الناسُ يقولونَ: إنَّ الوَطَنَ أُخِذَ بالقوةِ و لَن يعود إلا بالقوّةِ»[1]. يتنهّد قدور عندما يسمع عن وجود مقاتلين جزائريين الذين يحاولون طرد الاستعمار، وقائلاً في نفسه لماذا نضالاتهم ليست علنية حتى ينظمّ بهم، لأنه يعتقد أن الوطنَ احتله الاستعمار بقوة العسكرية ولا يمكن تحريره إلا بالقوة .

لعل تعزيز الهويات الآثنية في سياسة «فرّق تسُد» التي استعملها الكولونياليون شكّلتْ قنوات عدوانية مؤقتة، إذ طرح فانون المتأثر بمناخ العنف السائد أنئذ، لافتاً إلى أن العنف المضاد ليس كالعنف الوحشي، بل هو وسيلة منظمة وتحت السيطرة، وأن العنف أشبه بدوّار ما قبله ليس كما بعده، وهو حد فاصل بين مرحلتين، ولا يمكن العودة إلى الخمول السياسي بعد الوقوع فيه. كما هو الحال في رواية "غدا يوم جديد" التي تابعت فرنسا سياسة الانقسام بين الدول الإفريقية ولقد استأجر شعب السنغال لقمع الثورة الجزائرية، وهكذا يعرف الاستعمار كيف يغرس بذور الحقد بين الشعوب. «الأفكارُ تختلطُ وتسوّدُ في ذهنِ بايةَ. لِمن تَشكوها حالَها؟ هي أيضاً وحيدةٌ. أهلُها انقرضوا، مِنهم مَن بالوباءِ، ومِنهم مَن ماتَ تحتَ عذابِ السينيغاليينَ الذينَ جنّدتْهُم فِرنسا لقمعِ الذينَ ثاروا احتجاجاً على نفيِ أمير خالد. فِرنسا كانتْ تعرفُ كيفَ تزرعُ العداوةَ بينَ عبيدِها السودِ والبيضِ! بينَ هؤلاءِ الإفريقيينَ الأغبياءِ في الجنوبِ والشمالِ.»[2] كان استخدام القوات السنغالية كأداة لقمع الانتفاضات الجزائرية مهماً لفرنسا من ناحيتين، أولاً، خلق الانقسامات بين شعوب الدول الإفريقية، وثانياً قمع الانتفاضة الجزائرية دون تدخل القوات الفرنسية، الأمر الذي يدفع الجزائريين يعتبرون الجيش السنغالي عدواً لهم بدل فرنسا.

كما يعتقد فانون بالعنف المضاد والابتعاد عن الوحشية، يظهر بن¬هدوقة أيضاً تقسيم الأعمال الثورية مع القادة كوسيلة منظمة وتحت السيطرة. بحيث نرى في الرواية، يتبنى "المخفي" قيادة الشباب المناضلين الذين يقاتلون في ساحة الحرب، إلى جانب اشتغال "مصالي الحاج" بالتدريس ومسائل الدعوة والإصلاح. «إنّه اتفقَ مَعه علي أنْ يَشتغِلَ ابنُ باديس بالتدريسِ ومسائلِ الدعوةِ والإصلاحِ، وأبي بمسائلِ السلاحِ والثورةِ. لذلكَ سُمي بالمخفي. لأنّه عَمَله يقتضي السرّيةَ. وهكذا أصبحَ أبي مِن رجالِ الباطنِ وابنِ باديس من رجالِ الظاهرِ»[3].

[1] بن هدوقة، عبد الحميد، غداً يوم جديد، بيروت، ط1، دار الآداب، 1993م، ص 54.

[2] المصدر نفسه، ص 81.

[3] المصدر نفسه، ص 90.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

TAWASOLIA JOURNAL مجلة التواصلية ISSN 2437-0894- EISSN 6202-X587

یرى فانون أن الرغبة في المشاركة في أعمال العنف هي الغِراء الذي يُبقي مجموعة ما مترابطة، ويرى أن العنف في أجدّ وجوهه فعل علاجي، كونُ الكولونيالية تخلقُ مواطنا أصليا حسودا ومؤذيا، يُنتج العنف الذي يُعِدّه مَدخلا للتحرير، وليس التحرير كله، سواء التحرير من المستعمِر أو تحرير من الشخصيّة من عدم قدرتها على الفعل[1]. نرى هذه الرؤية في تصرفات «قدور» عندما سمع عن وجود خلايا جزائرية تعمل لإخراج فرنسا، شعر بالسعادة في عمق كيانه واختفى خوفه. «قدورُ وجدَ نفسَه في ورطةٍ لا يعرفُ مِن أينَ يَنجو مِنها. لمْ يتعوّدْ على هذا النوعِ مِن الأسئلةِ السياسيةِ، لكنَّه في الوقتِ نفسِه يشعرُ بسعادةٍ غريبةٍ فِي عمقِ كيانِه لا يَدري بالضبطِ، هل مصدرُها ما سَمِعَه عن وجودِ خَلايا جزائرية خَفيّة تَعمَل لإخراجَ فِرنسا مِن الجزائر أَم لِسببٍ آخر.[2]»

دعا فانون إلى مشاركة النساء في الحرب والعنف ووَقف مخالفاً الإسلاميين الذين أعلنوا أن الحرب الجزائرية حربٌ مِن دون نساء، كما يعتقد أن مشاركة المرأة إلى جانب الرجال رمزٌ للمعارضة الشاملة، كاشفاً أن حجاب المرأة لم يحضر في سياق الثورة الجزائرية بصفته شيئاً خاملاً، بل كونه حلقة في الماكينة الثوريّة ينزع ويُرتدى، المرة تلو الأخرى[3]. يقول بن هدوقة أيضاً في روايته أن الوقت قد حان للجيش لدعم النساء والاستفادة من قدرتهن في الحرب ضد الاستعمار. النساء اللواتي كنّ قدحُكم عليهن بالصمت من قبل. «منذُ وُلدنا ونحن محكومٌ عَلَينا بالصمتِ.فإذا لم نتحدثْ الآن، وحريّةُ التعبيرِ يضمنُّها لنا الجيشُ فمتى يمكنُ أنْ نتحدثَ مطمئنينَ بِلا خوفٍ؟»[4] كما يتذكّر الكاتب أنّ دور الأم في تعليم الشباب الثائرين واضحٌ للغاية إلى الحدّ الذي بادرت مسعودة، على الرغم من كونها تعيش فقيرة وحافية القدمين تدريب الشباب الذين أوصلوا البلاد إلى ذروة العظمة مع أفعالهم المسلحة[5].

السؤال الآن، ما هو الأساس المنطقي عند بن هدوقة لتبرير التحالفات والعمل العنيف ضد الاستعمار؟ لا يعتبر بن هدوقة النضال الشامل والاتحاد الوطني عملاً نبيلًا فحسب، بل يولي الاهتمام إلى المبررات الدينية لإثبات ذلك، ويعتبره واجباً دينياً. «إنَّ تضامنَ الناسِ في هذه الأيامِ الشديدةِ شيءٌ لا تفرضه المروءةَ فقط، بل هو واجبٌ دينيٌ ووطنيٌ»[6] بن هدوقة، مستشهداً بالأعراف والأوامر الدينية، يدعو بتضامن الشعب في الحرب ضد العدو، ويطلب من الناس التعاون وشن حرب لإنهاء وجود الاستعمار. تعاون الذي لا تفرضه الإنسانية والمروءة فقط، بل هو واجب ديني ووطني.

---

[1] جاسم، حسين، أحمد، فانون: المخيّلة بعد الكولونيالية، ص176.

[2] بن هدوقة، غداً يوم جديد، ص 57.

[3] فانون، فرانتس، پوست سياه (صورتك هاى سفيد)، ترجمه: محمد امين كاردان، تهران، انتشارات خوارزمى، چاپ دوم، . 1355ه، ص21.

[4] بن هدوقة، غدا يوم جديد، ص288.

[5] المصدر نفسه، ص288.

[6] المصدر نفسه، ص 73.

Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

2-2- العنصرية

يرى فرانتز فانون، أنَّ العنصرية والثقافة متشابكتان، وأنّ الأمم الاستعمارية تعدّ ثقافتها أساساً ومبدأ للكون. تقوم القوى الاستعمارية في هذا المسار بإثبات وجود مجموعات بلا ثقافة، ثم تصل إلى ثقافات قائمة على نوع من التسلسل الهرمي، لذلك، إنّ المجتمعات المستعمَرة التي تعرّضت لهجومها المباشر تشعر بالعنفِ بأشكالها المختلفة، تدمير ثقافتها أيضاً يعدّ خطوة ضخمة تؤدي في النهاية إلى أسرها الاقتصادي والسياسي وإخضاعها البيولوجي.[1] عندما وضع الاستعمار الفرنسي قدميه على الأراضي الجزائرية، اصطدم بثقافة وتقاليد عميقة الجذور، ثقافة تقوم على اللغة العربية مستمدة هويتها وعناصرها من الدين والتقاليد العرقية والاجتماعية. لذلك حاول الاستعمار تدمير هذه الثقافة الأصلية أو تغييرها من خلال العدوان الثقافي بغرض تخلّي شعبها عن تقاليدها الأصلية.

الجو العام للرواية فارغ إلى حدٍ ما من التصرفات العنصرية، ولكن من منظر ما بعد الاستعمار، في بعض مشاهد القصة، يعكس المؤلف الميزة العنصرية عند الشخصيات الفرنسية في تعاملها مع الشعوب الأصلية. يظهر رد فعل الدركي الفرنسي الخاص وتصرفاته مع المصلين هذه العقلية: «الناسُ يعبثونَ بالماءِ، لا يشربونَ فقط، بَل يغسلونَ وجوهَهم وأيديهِم وحتّى أرجلَهم ردَّ أحدُهم: الرجلُ الذي سببُ المنعِ كان يتوضّأُ لصلاةِ الظهرِ لكنّ رئيسَ المحطةِ لمْ يفهمْ ذلكَ بالرغمِ مِن محاولةِ الناسِ إفهامَه»[2] يقول إدوارد سعيد: هناك عاملان قادا الغربيين إلى احتقار الثقافة الإسلامية واستهداف هجماتهم العنصرية، أحد هذين العاملين هو تاريخ التعصب الشعبي المعادي للعرب والمسلمين في العالم الغربي الذى ينعكس بلا فصلٍ في تاريخ الاستشراق، والثاني هو الغياب شبه الكامل لأي موقف ثقافي يسمح بدعم العرب والإسلام.[3]

في مقابلة أخرى بين الدركي الفرنسي وقدور في مركز الاعتقال، نرى أنّ سبب اتهام قدور بالكذب والتزوير قائم على أساس تفكير الإذلال العرق العربي الذي يؤمن به الدركي الفرنسي. «عندَما يجيبُ قدورُ بالنفيِ أو عدمِ العلمِ يكذبُه الدركي يتّهمُه بأنه يتظاهرُ بالصدقِ وهو يكذبُ كَكلِّ العرب»[4]. إضافةً إلى ذلك، عندما تنكشف زوايا القصة، يصبح من الواضح أن العنصرية انتشرت في مجالات عدة كتقسيم العمل والمناصب الشغلية، وأن تفوقَّ أوروبا وفرنسا في هذه المجالات يقوم على نوع من القمع العرقي الذي مارسته البلدان الأوروبية ضد السكان الأصليين. قدور حمّال المرفأ، ومسعودة خادمة في منزل الأسرة الفرنسية، والدركي الجزائري جندي مرتزق بين يدي القوات الفرنسية. تصريح مسعودة عن شغل قدور يثبت ذلك. «مَن مثلُه مِن عُمّال الجزايرِ الآخرينَ؟ كناسو الطرقاتِ؟ ماسحو الأحذيةِ؟ أصحابُ عرباتِ

---

[1] فرانتس فانون، واپسين دم استعمار، ترجمه: خسرو گلسرخی، چاپ دوم، انتشارات توس، 1361ه، ص 48.

[2] بن هدوقة، غدا يوم جديد، ص21.

[3] سعيد، الثقافة والأمبريالية، ص52.

[4] بن هدوقة، غداً يوم جديد، ص 47.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

النقلِ؟ عمّالُ المعاملِ المغلقةِ على مَن فيه؟ لا لا أحَدَ خيرٌ منه هو أفضلُ الناس عملاً وأكثرُهم ربحاً»[1] في المقابل إدارة محطة القطار، وقضاء المحكمة وإدارة المدرسة والجامعة، وحتى إدارة المساجد كلها بيد الفرنسيين والمغتربين. كما يلوم الحاج أحمد قدورَ بسبب أعماله العدائية ضد فرنسا لأنّه يعتقد مقاليد الأمور كلها بيد الاستعمار. «لا يعرفُ إنّ فرنسا هي الدركُ، هي المحطةُ هي القطارُ، وهي المدينةُ التي يحملُ فيها»[2] يمكن الكشف عن هذه الرؤية العنصرية وفكرة التعددية في تخصيص الأحياء السكنية للفرنسيين. الأحياء التي لا يُسمح للعرب دخولها إلا لأولئك الذين يعملون لدى الأوروبيين بغاية إنشاء إذلال باطني بين المواطنين الجزائريين واعترافهم بتفوق فرنسا. «الأحياءُ الأروبيةُ لا يدخلُها العربَ، إلا المارّينَ، أو إذا كانوا يَشتغلونَ لدى الأروبيينَ. أحياناً المرورُ يمنعونه على العربِ»[3]. نرى الاستعمار بادرَ بفصل الأحياء الجزائرية عن الفرنسيين، بهدف إذلال هوية الجزائريين واحتقار شأنهم. عمِلَ فانون أيضاً على فكرة التعدد والاختلاف وطالَبَ بعدم إقصاء أيّ ثقافة أو نبذ أي هوية لتحقيق التعايش السلمي[4]. لابدّ من تعايش الهويات الجزائرية والأوروبية التي انتقلت إلى الجزائر، وصارت الجزائر وطناً لهم.

2–3– الازدواج الوجداني

الازدواج الوجداني مصطلحٌ كان أول ظهوره في مجال التحليل النفسي لوصف التأرجح بين الرغبة في شيء ونقيضه. كذلك يستخدم هذا المصطلح ليشير إلى الانجذاب إلى شيء أو شخص أو فعل ونفور منه في الوقت نفسه. استعاره هومي بابا وتابعه فانون وأدخله إلى نظرية الخطاب الكولونيالي ليصف المزيج المركب من الانجذاب والنفور الذي يسِم العلاقة بين المستعمِر والمستعمر. هذه العلاقة متأرجحة لأن الذات المستعمرَة ليست مناهظة للمستعمِر ببساطة وبكل معنى الكلمة على طول الخط. وعوضاً عن افتراض أن بعض الذوات المستعمرة «متواطئة» والبعض الآخر ذوات «مناهظة»، يوحي مصطلح الازدواج الوجداني بأن التواطؤ والمناهظة يتساوقان في علاقة متأرجحة داخل ذوات الكولونياليّة[5].

الأمر الذي يؤدي إلى الازدواج الوجداني هو أن المستعمَر يريد أن يكون بدلاً من المستعمِر، أما المستعمِر لا يرغب حقاً أن يكون الشعب المستعمَر نسخة طبق الأصل من المستعمرين، لأنه يشعر بالتهديد إلى حد بعيد ويخلخل السلطة الخاصة بالهيمنة الكولونيالية. فلا يسمح للمستعمَر أن يكون بدلا منه بل يجيز للمستعمَر أن يقلّد إلى الحد الذي ينتمي

[1] بن هدوقة، غداً يوم جديد، ص 23.
[2] المصدر نفسه، ص39.
[3] المصدر نفسه، ص 112.
[4] سعيد، الثقافة والأمبريالية، ص329.
[5] أشكروفت، بيل، جيرفت، جاريث وتيفين، هيلين، دراسات ما بعد الكولونيالة المفاهيم الرئيسية، ص 62.

Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

إليه فقط، لكن يفقد المستعمَر في هذه التبعية العمياء القسم الأعظم من هويته يعني ثقافته وعاداته وقيمه، فيبتلى بنوع من الازدواج الوجداني الذي يرافقه حتى آخر حياته ويؤرقه إلى الحد الذي يلتمس الجنسية الفرنسية.

كانت مسعودة كتلة متفجّرة من التناقضات، وكانت تنتقل من قطب إلى آخر، من هنا كان الاعوجاج في عواطفها والالتواء في تفكيرها، وتقول: «أرى المستقبلَ وما سيكونُ! أرى المستقبلَ بانعطافاتِه وأحداثِه السارّةِ والمحزنةِ كمْ أنا سعيدٌ بالاستعماعِ إليها، كمْ أنا حزينٌ أيضاً لا أدري لِماذا أنا سعيدٌ، ولا لماذا أنا حزينٌ.»[1] ومسعودة في مغتربها الفرنسي كانت ذاتها تعاني انشطاراً حادّا بين مخزونها العقيدي والتربوي والتاريخي وبين المعطيات الجديدة المتناقضة في عالمها اللدني، الذي وسم شخصيتها بالازدواجية ويعترف بطل الرواية بنفسه بهذا الانشطار الداخلي الذي كان يظهر من خلال رحلتها إلى المدينة، لأنها ترى ثقافتها مختلفة عن الغرب، وتريد أن توصل نفسها إلى هذا الآخر، هذا التغيير في البداية يكون مكانياً ويلمس في الهجرة، الهجرة من القرية وهي مثال للشرق المتخلّف إلى المدينة يعني الغرب المتقدّم. «إنّ كلّ ما مِن شأنه أن يمنَعَها من هذا السفرِ لا تريدُه. هي لا ترغبُ في الرجوعِ إلى الدشرةِ، ولا تريدُ استئنافَ الحياةِ فيها. انتهى كلَّ ذلكَ الآنَ، وقد تزّوجتْ بهذا الرجلِ الذي يعملُ بالمدينةِ. إنّها لم تتزوجْ بالرجلِ، تزوجتْ بالمدينةِ.[2]» ومن عالم الخرافات والتعصبات الدينية والاحتقارات التي كانت عوالمها متمثلة بالاستعمار، وترجّح ثقافة الغرب على ثقافة السكان الجزائرية وتفضل التعايش مع الفرنسيين. «والغريب، في المدينة، أنّ بين الأصوات التي كنت أسمعها في حي القصبة وبين الأصوات التي صِرتُ أسمعها أحياناً في الحيّ الأوروبي تختلف. الأوروبيون لا يحدثون أصواتاً كثيرة. أمّا في القصبة فتستمع إلى خليط من أصوات الموسيقى والأطفال والنساء والصنّاع الحرفيين. وهذا جعلني في البداية أحسُّ كأنني في عالم ممتع مؤنس»[3].

ولكن تَكمن المشكلة في الخطاب ما بعد الكولونيالي في أنه يريد تخليق متلقّ سهل الانقياد يعيد إنتاج مسلّمات المستعمِر وعاداته وقيمه–أي يقلد المستعمِر. لكن بدلا من ذلك أنتجَ الخطاب مابعد الكولونيالي تابعين مزدوجي الوجدان لا ينأى تقليدهم له كثيرا عن الاستهزاء. ويصف الازدواج الوجداني هذه العلاقة المتارجحة بين التقليد والاستهزاء. وهو ازدواج وجداني يربك الهيمنة الكولونيالية على مستوى القاعدة. وفي هذا السياق، ليس بالضرورة نزعاً للقوة عن الذات الكولونيالة، بل يمكن أن ينظر إليها على أنها علاقة متكافئة القوة أو ثنائية السلطة.[4] كما نرى مسعودة على رغم من تقليد الثقافة الفرنسية تستهزئ الملابس واللغة المستعملة لدى الفرنسيين وتفضّل اللغة والثقافة العربية عليها. «إنّهما يلبسانِ بَدَلتي "كاكي" وقبّعتينِ، ويتكلّمانِ بلغةٍ تُشبه غاقاتِ الغربانِ. هكذا تصورتْ مسعودةُ هذه اللغةَ التي لم تسمعْ

[1] بن هدوقة، غداً يوم جديد، ص6.
[2] المصدر نفسه، ص19.
[3] المصدر نفسه، ص154.
[4] أشكروفت، بيل، جيرفت، جاريث وتيفين، هيلين، دراسات ما بعد الكولونيالة المفاهيم الرئيسية، ص 63.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

TAWASOLIA JOURNAL مجلة التواصلية ISSN 2437-0894- EISSN 6202-X587

أذناها مِن قبلِ».[1] إنّ تأثير هذا الانجذاب المتساوق مع النفور في استثارة خلخلة عميقة لسلطة الخطاب الكولونيالي لدى شخصيات القصة.

فالعلاقة الكولونيالة مع المستعمرة أيضاً دائماً ما تكون ازدواجية فإنها تولّد بذور تدميرها الذاتي. وهذا أمرٌ خلافي لأنه ينطوي على أن العلاقة الكولونيالية سوف تعاني من الخلخلة، بصرف النظر عن أية مقاومة أو ثورة من جانب الخاضعين للاستعمار[2]. على سبيل المثال يسوق بن–هدوقة مثالاً فيذكّر المعلم الفرنسي الذي أراد أن يغرس الثقافة في الطلّاب الجزائريين ويعلمهم اللغة الفرنسية. «معلّمُ المدرسةِ ومديرُها مِن سلالةِ الغازينَ لهذه المنطقةِ. يتكلّم العربيةَ والبربريةَ بلهجةٍ فرنسيّةٍ... إنَّ رئيسَ الجمهوريةِ يحبُّ اللاتينيةَ وسوفَ يعتبرُ ذلكَ نجاحاً باهراً لجهودِ فرنسا في نشرِ التعليمِ وخاصةً المعلّمينَ. كما سوفَ يجعلُ رئيسَ الجمهوريةِ متأثراً بالغَ التأثرِ عندَما يُرى أنّ الجزائرَ تعودُ شيئاً فشيئاً إلى لاتينيتِها»[3]. غير أن القلق ساوره من أن يدفعهم ذلك إلى أن يكونوا مشاغبين من أجل الحصول على الحرّية. فكان الحل أن يمزج التعلميات الفرنسية بالممارسات الطبقية والمسببة للشقاق حتى تثمر إصلاحاً جزئياً يمكن أن يحدث تقليداً فارغاً للعادات واللغة الفرنسية. «حاولَ في البدايةِ وضعَ الأطفالِ العربِ في جهةٍ، والأطفالِ «القبائلِ» في صفٍّ آخرَ، قبلَ الدخولِ إلى المدرسةِ. وفي القسمِ خصّصَ لكلٍّ فريقٍ جانباً من مقاعده، الجانبُ الأيمنِ للعربِ والجانبُ الأيسر للقبائلِ. وبينَ الجانبينِ الممرُّ الرئيسي. أغضبَ الآباءَ الممرُّ الرئيسي، لكنّهم لم يستطيعوا التعبيرَ عن غضبِهم بصورةٍ ملموسةٍ. توسّلوا أوّلاً لدى المعلمِ نفسِه قالوا له إنّ التفريقَ بينَ أطفالِنا يخلقُ لنا مشاكلَ ونحن جميعاً من قريةٍ واحدةٍ...»[4].

يشير "هومي بابا" إلى أن هذا الصراع يظهر داخل الامبريالية ذاتها وهو الذي سوف يؤدي حتما إلى تقوّضها: إذ إنها مدفوعة لأن تخلق وضعاً ازدواجياً سوف يخلخل إدعائها بشأن سلطتها المنيعة.[5] في الرواية أيضاً نرى أن المعلم الفرنسي، على الرغم من أنه يحاول تعليم الطلاب من جهة ومن جهة أخرى تعزيز ثقافة الانقسام بينهم، ولكن المفكرين المتدينين أصبحوا على علم بذلك ووحّدوا شعب القرية ضد المعلم الفرنسي. «لكن لحسنُ حظِ الآباءِ أنّ الأطفالَ خارجَ المدرسةِ كانوا دائماً يلعبونَ بعضَهم مع بعضٍ، لم تؤثرْ فيهم تربيةُ المعلمِ الفرنسي. وفي الجامعِ كانوا يقرأون القرآنَ على الشيخِ واحد يحذّرهم من التفرقةِ والناسُ في ذلك الزمنِ لم يكونوا على العمومِ يعتبرونَ المعلمَ الفرنسي شيخاً حقيقياً، إنما يعلّمهم حروفا أجنبية قد يحتاجونَ إليها–كما يقولُ الآباءُ–ليسَ إلا المعلمُ الحقيقيُ هو شيخُ الجامعِ»[6]. كان توعية شيخ الجامع

---

[1] بن هدوقة، غداً يوم جديد، ص 28.

[2] أشكروفت، بيل، جيرفت، جاريث وتيفين، هيلين، دراسات ما بعد الكولونيالة المفاهيم الرئيسية، ص 64.

[3] بن هدوقة، غداً يوم جديد، ص 212.

[4] المصدر نفسه، ص208.

[5] أشكروفت، بيل، جيرفت، جاريث وتيفين، هيلين، دراسات ما بعد الكولونيالة المفاهيم الرئيسية، ص 64.

[6] بن هدوقة، غداً يوم جديد، ص 209.

Attribution 4.0 International (CC BY 4.0)
Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

لأبناء المجتمع بالخطط المعلم الفرنسي في خلق الانقسامات عاملاً أبعد المجتمع عن الانقسام والنفاق وأدى إلى الاتحاد بينهم.

2-4- محورية الغرب و رفض مركزيته

كان فرانتز فانون أول مفكر يثير قضية المركز والهامش بين المستعمِر والمستعمَر. إنه يصور دائماً المستعمَر في الموقع الآخر حيث لا يمكنه أن يلعب دور المركزية في مواجهته مع الغرب، والذي أصبح محور مناقشات ما بعد الاستعمارية.[1]

أما في القرن التاسع عشر، فظهر الآخر الأجنبي أو الغربي في الروايات العربية بأشكالها المختلفة ، وقدّمت الروايات العربية، المركز والهامش في شكل القضايا الشرقية والغربية. وهكذا اعتبر الرواة، الشرق بمعنى المركز و الغرب بمعنى الآخر أو الهامش. ولكن في القرن العشرين، اتخذت قضية الآخر أبعاداً جديدةً. إذا نظرنا إلى الروايات العربية في بداية القرن العشرين، نرى صراعاً بين المركز والهامش. في هذه النصوص، لم يكن المركز في الموقف الغربي والهامش في الموقف الشرقي. بل يمكن ملاحظة الاختلاف في استخدام مكان الهامش في الروايات العربية في النصف الثاني من القرن العشرين، عندما ظهر الآخر على الشكل الأجنبي أو الدول الاستعمارية[2].

المستعمَر في الرواية "غدا يوم جديد"، ليس شخصاً جاهلاً بالسياسة والتاريخ ، لكنه مدرك لقضايا اليوم ولديه القدرة على الإجابة عن أسئلة المستعمِر وخطاباته التي لا أساس لها. كما يكون رئيس القرية في الرواية على علم بأخبار البلاد والدول الإسلامية وله القدرة على تحليل الأحداث السياسية. «إمامُ الدشرةِ كان يحبُّه، لأنّه يأتيه كلَّ سنةٍ بحزمةٍ من الجرائدِ القديمةِ والحديثةِ، الجزائريةِ وحتى المصريةِ، أمامُ يحبُّ قراءةَ الجرائدِ، لأنّه كانَ مهتماً بقضيةِ أتاتورك في أسطمبول وبالوهابيين في الحجاز».[3] في هذه الراية، يعرف المستعمِر الماضي التاريخي والعلاقات الثقافية والتاريخية للجزائر ، لكنّه يواجه شخصاً مستعمَراً مدركا تماماً للسياسة ولماضي بلاده. يمكن القول بأنّ دور المركز ودور الهامش قد انقلب تماماً هنا. تحدّى فانون أيضاً النظرة الإنسانية الليبرالية الأوروبية بشأن المركز والهامش، محتجّا بأنّ السكان الأصليين والقبائل والجماهير والفلاحين وأمثالهم يتعرضون في الوضع الكولونيالي وخطاباته التي تصل إلى درجة أنهم لا يبدون قادرين على ربط بين أفكارهم وقضاياهم الوطنية بالذات.[4] في الرواية أيضاً احتج بن هدوقة على تفكير الغربيين في جهل الرجل الجزائري بتاريخ بلده وقضاياه الوطنية، ولكن نرى «ابن القائد» على علم بتاريخ وقضايا وطنه، لهذا السبب ندد ما فعله الاستعمار في تشويه

[1] فانون، بوست سياه (صورتك هاى سفيد)، ص 219.

[2] شحيد، جمال، صورة الآخر في الرواية العربية، دمشق، سلسلة الآداب، 2012م، 218.

[3] بن هدوقة، غدا يوم جديد، ص91.

[4] سي غبسون، ناجيل، قانون المخيلة بعد الكولونيالة، ص 34.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

TAWASOLIA JOURNAL مجلة التواصلية ISSN 2437-0894- EISSN 6202-X587

حقيقة تاريخ الجزائر. ««نائبُ الحقِ العامِ يواصلُ: لَقَد كَتَبَ أيضاً سيِّدي الرئيس مقالات أخرى تهجّم فِيها على المؤتمرِ الوطنيِ للعلومِ التاريخيةِ والذي إنعقدَ في أوريلِ الماضي فشَتَمَ عُلماءً نبلاء أجلاء مِن أمثالِ «آلازار» و «إيسيكية» و «ليسبيد» زَعَمَ أنَّ هولاء العلماء يُؤسسون تاريخيةً وهميةً الّاتينيةِ للجزائر»[1] بهذه التفاصيل بدأ النظام الاستعماري معتمداً على جهل الجزائريين بتاريخ بلدهم، في إنشاء وثائق تاريخية وهمية لتبرير استعماره وإثبات أنّ علاقات فرنسا مع الجزائر قديمة وتاريخية، ولكن العارفين مثل «ابن القائد» يعارضون كمثل هذه المؤامرة ويحاولون فضحها.

كما يظهر في الرواية اضطهاد العريف الفرنسي وظلمه في تعامله مع قدور. وهو ظلم ناتجٌ عن الضعف النفسي والوحشية. «أصحابُ السياطِ من الحرّاسِ الأقلِ رتبةً يتنقّلون في ذلك الفضاءِ الجهنّمي الذي أعدّته السلطةُ الاستعمارية. الممارساتُ اليوميّة لاستعمالِ السياطِ جعلتْ أولئك الحراسَ يتلذذونَ بما يحدثُه وقعُها على الظهورِ العاريةِ من أصواتِ المبحوحةِ»[2]. هنا أيضا يستمر الخطاب الغربي والخطاب المعادي الشرقي. لكن المواطن المستعمَر "قدور" الذي هو من الشخصيات الرئيسية في القصة لن يتم وضعه في موقع الهامش، لأنه شخصٌ بسيطٌ تتبلور مقاومته الصامتة إلى النضال العنيف ويضع المستعمِر في موقف الهامش، في حين يتمسّك قدّور بقيمه وتقاليده الأصلية، والمستعمِر الذي لا يلتزم بأيّ تقاليد وسنن. يظهر هذا التقابل، عندما يهين الدركي الفرنسي قدورَ، يقف بلا خوف أمامه ويضربه بالمطرقة ضرباً عنيفا ليرتطم برأس الحارس. «أعرفُ أنّك تكره الحرّاسَ والدركَ . كلُّ من يمثّلُ سلطةً ما... قدورُ لا يتكلمُ، كلُّ خلايا مخِّه تحوّلتْ إلى معمل ينتجُ الحقدَ. قدورُ تختلطُ في رأسِه الصورَ والأحداثَ والكلماتِ الفاجرةِ، ولا يدري أين هو! تنطلقُ المطرقةُ الحديديةُ عنيفة من يديه لترتطمَ برأسِ الحارسِ ينقلبُ على ظهرِه منصعقاً».[3] أدرك قدور بأن العنف هو السبيل الأوحد لفك الاستعمار، كما يقول فانون «العنف قوّة تطهيرية فهو يحرر المواطن الأصلي من عقدة النقص لديه ومن قعوده عن العمل، إنه يجعله يتخلص من الخوف ويستعيد احترامه لنفسه».[4] كما يشاهَد اعتراف الجندي الفرنسي بالكره قدور من فرنسيين وجنودها، ولكن يهين الجندي الفرنسي قدورَ بكلام مزعج متصوراً نفسه في الموقع الأعلى، فجأة يتغلّب قدور على خوفه ويتغير موقعه من الضعف إلى القوة، ويضرب الرجل الفرنسي على الأرض بضربةٍ قاسية كان ناتجاً عن الكره الشديد من الاستعمار والتمسك بالعنف.

---

[1] بن هدوقة، غداً يوم جديد، ص90.

[2] المصدر نفسه، ص270.

[3] المصدر نفسه، ص274.

[4] سي غبسون، ناجيل،قانون المخيلة بعد الكولونيالة، ص 198.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

نتائج البحث

عبد الحميد بن هدوقة كاتب ملتزم ومحبّ للحرية كان له حضور نشيط في المقاومة والاحتجاجات المعادية للاستعمار، وفي أعماله يمكن رؤية مكونات مناهضة الاستعمار.

1- يرى بن هدوقة أن المخرج الوحيد لإنهاء الاستعمار هو القتال بالعنف. هو الوسيلة والغاية التي تنتهي بالحكم الكولونيالي، فالعنف يحرر المواطن الأصلي من عنف النظام الاستعماري، لإنّ العنف يكون قوة تطهيرية تحرر المواطن الأصلي من عقدة النقص لديه ومن يأسه وقعوده عن العمل، إنه يجعله يتخلّص من الخوف ويستعيد احترامه لنفسه. لا يستند بن ¬هدوقة في إيمانه بالعنف لاعتبارات عنصرية أو لنوازع انتقامية شخصيّة بل يبني قناعته واقتناعه بنجاعة العنف انطلاقاً من تحليله لطرفي الصراع.

2- في رواية "غدا يوم جديد"، يُظهر الروائي التصرفات العنصرية للاستعمار على جميع المستويات. خاصة في القطاعات القضائية والمهنية التي سيطرت فرنسا على جميع مقاعدها المهمة، وأصبح مواطنو الجزائر عمالًا بسيطين ومتدنيّ المستوى من وجهة نظر الهوية، يسعي الاستعمار إلى إذلال الثقافة ومعتقدات السكان الأصليين من خلال القمع العرقي. نتيجة هذا العمل هي أزمة احترام الذات وعدم الالتزام بالثقافة السائدة.

3- الازدواج الوجداني هو مزيج من الانجذاب والنفور الذي يسم العلاقة بين المستعمِر والمستعمر ونرى هذه الظاهرة التي تظهر في حالة التواطؤ والمناهظة بين الشخصيات الجزائرية والفرنسية لكن في النهاية، تهاجم السكان الأصلية الثقافة الاستعمارية وتفضل ثقافتها، فالعلاقة الكولونيالة أيضا دائماً ما تكون ازدواجية فإنها تولِد بذور تدميرها الذاتي في متابعة هذا المنهج الثنائي. نرى أيضا الشخصيات الرئيسية للرواية لم يتم وضعها في أي مكان آخر. تلك الشخصيات تحافظ على القيم والمبادئ الثقافية. تهاجم هذه الشخصيات بجرأة على المركزية الأوروبية وقمع المستعمرين، وتضع الغرب في موقف «االهامش».

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

TAWASOLIA JOURNAL مجلة التواصلية ISSN 2437-0894- EISSN 6202-X587

المصادر والمراجع:

– أشكروفت، بيل، جيرفت، جاريث وتيفين، هيلين، دراسات ما بعد الكولونيالة المفاهيم الرئيسية، ترجمه: أحمد روبي، ط1، القاهرة، المركز القومي للترجمة، 2010م.

– بن هدوقة، عبد الحميد، غداً يوم جديد، بيروت، ط1، دارالآداب، 1993م.

– الرويلي، ميجان والبازغي سعد، دليل الناقد الأدبي، ط3، بيروت، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء، 2002.

حديدي، صبحي، الخطاب ما بعد الكولونيالي في الأدب والنظرية النقدية، فلسطين، الكرمل، العدد رقم 47، 1993م

– سعيد، إدوارد، الثقافة والإمبريالية: ترجمة: كمال أبو ديب، ط1، بيروت، دار الآداب، 2004م.

– سي غبسون،ناجيل، قانون المخيلة بعد الكولونيالة، ترجمة: خالد – عايد أبو هديب، بيروت، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ط1، مارس، آذار، 2013م.

– شحيد، جمال، صورة الآخر في الرواية العربية، دمشق، سلسلة الآداب، 2012م.

– عبود، عبده والآخرون، الأدب المقارن مدخلات النظرية و نصوص ودراسات تطبيقية،ط1، دمشق، جامعة دمشق، 1992م.

– فانون، فرانتس، پوست سیاه (صورتك‌های سفید)، ترجمه محمد امین کاردان، تهران، انتشارات خوارزمی، چاپ دوم، 1355ه.

ـــــــــــــ، واپسین دم استعمار، ترجمه: خسرو –گلسرخی، چاپ دوم، تهران، انتشارات توس، 1361ه.

ـــــــــــــ، انقلاب آفریقا، ترجمه محمدامین کاردان، چاپ ششم، تهران، انتشارات خوارزمی، 1361ه.

– قادری، فاطمه، سیری در تحول ادبیات معاصر، چاپ اول، انتشارات دانشگاه یزد، 2010م.

– لومبا، آنیا، في نظرية الاستعمار وما بعد الاستعمار الأدبية، ترجمة: محمد عبدالغني غنوم، دارالحوار للطباعة و النشر و التوزيع، سوريا، اللاذقية، 2007م.

Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

المقالات

– أبوهيف، عبدالله، أزمة الذات فى الرواية العربية، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، يولية، ديسمبر، 1994م، صص107-151.

– جاسم حسين، أحمد، فانون: المخيّلة بعد-الكولونيالية، الجملة عمران، العدد 15، 2016م، صص171-181.

– شيرزادى، رضا، مطالعات پسااستعمارى؛ نقد و ارزيابى ديدگاه هاى فرانتس فانون، ادوارد سعيد، هومى بابا، فصلنامه مطالعات سياسى؛ سال دوم، شماره 5، 1388ه، صص149-174.

المواقع الالكترونية

(http://www.reefnet.gov.sy)

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)